

حرية الاعتقاد في المسيحية بين النصوص وواقع التنصير

د. صالح نعمان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة.

- التمهيد:

المعروف عن الديانة المسيحية أنها دين المحبة و التسامح حيث يستغفر المسيحي المخلص لأعدائه ويطلب لهم الهداة بل ويحب لآعنيه، و هذا يدل على احترام حرية الاعتقاد و عدم الإكراه، و من مظاهر ذلك، التسامح الذي يعد حجر الزاوية المتين الذي تبنى عليه العلاقات الإنسانية.

فعندما يرى الإنسان الحروب والمصائب بحق البشرية، والتي سببها عدم التسامح العرقي والديني و التعصب و الإكراه في الدين عبر تاريخ الإنسانية وحتى الآن، يمكنه أن يدرك بأن عدم التسامح هذا ما هو إلا أداة هدم وتدمير للحضارة البشرية و عكسه حرية لاعتقاد و التسامح.

و حرية الاعتقاد و التسامح في الأديان لا يعني أن الإنسان يجب عليه أن يحترم ويقدر دينه ومعتقداته الخاصة به فقط، بل يعني وجوب احترام وتقدير المعتقدات الأخرى وعدم تشويهها واحتقارها.

ورغم أن الحقائق التاريخية و الواقع عودانا على أن نفصل بين المبدأ من حيث نقائه و صحته و بين تصرفات معتقيه، فإن المتصفح لتاريخ المسيحية و لما يجري على الساحة العالمية اليوم لا يجد فرقاً بين ما يفعله المنصرون من إكراه بالمال و قتل و إراقة دماء و بين نصوص الكتاب المقدس.

فقد قام المسيحيون تطبيقاً لتعاليمهم بمذابح راح ضحيتها الآلاف لإجبارهم على اعتناق المسيحية،

حدث هذا في عهد الإمبراطور شارلمان الذي كان مبدؤه نشر الإنجيل بالسيف و عهد فرسان التوتونك، الوثنيين الأوربيين و محاكم التفتيش مع المسلمين في

الأندلس كما حدث في عهد إزابيل الكاثوليكية لما تربعت على عرش قستيليا(1474-1504)، و الهنود الحمر في أمريكا و قد عم ذلك اليهود و وبقية المذاهب المسيحية المخالفة للكاتوليكية¹.

و رغم ذلك يعلن المستشرق البريطاني (وول سميث) أن الكنيسة ليست مسؤولية مباشرة عن الجرائم التي ارتكبت عبر محاكم التفتيش، ولكن كان على رجال الدين المسيحي في إسبانيا أن يخوضوا معركة ضد الوجود الإسلامي بعد خروج العرب من أسبانيا فاضطروا إلى محاكم التفتيش التي تهادى القائمون عليها في تصرفاتهم فيما بعد.

وهكذا عند (سميث) وغيره من المؤرخين والمستشرقين النصارى تتحول محاكم التفتيش إلى (خطأ) غير مقصود له تبريراته، بل يصير الإسلام عندهم هو المسؤول عن تلك المحاكم؛ لأنه دفع بالمسيحيين إلى استنباط محاكم التفتيش ليصدوا تمدده في الغرب.

و يطلب المجمع الفاتيكاني الثاني من المسلمين نسيان تلك النزاعات و الخلافات بين الديانتين من اجل السلم و التعايش.² و هو ما دعا إليه كذلك التجمع المسكوني الأوروبي من اجل السلام و العدالة و حماية الخلق³، و عمل مجلس الكنائس قبل ذلك

¹ - محمد حسن فنطر: مقدمة كتاب "التسامح تقارب و تضامن بين الشعوب" فعاليات الندوة الدولية من تنظيم كرسي بن علي لحوار الحضارات و الأديان، جامعة تونس المنار، 9-10/12/2002، ص7.

² - المجمع الفاتيكاني الثاني، علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية. رقم3، المصادق عليه في 1964/11/21.

³ - التجمعات المسكونية الأوروبية من اجل السلام و العدالة و حماية الخلق، المعقد برعاية الكنيسة الألمانية الإنجيلية، شتوتغارد 1988، بازل 1989.

على نقد ذاتي للكنيسة المسيحية و الاعتراف بفشلها و أخطائها وجرائمها¹، فكان ذلك دعوة للتحويل الجذري و توجهها جديدا للكنائس المسيحية².

فهل نصوص الكتاب المقدس عن حرية الاعتقاد و التسامح و المحبة والخطاب الكنسي الجديد يصدقها الواقع أم يكذبها؟ هل هو خطاب واحد موحد أم متعدد متناقض؟

ثانيا- مفهوم حرية الاعتقاد:

يقصد بالحرية قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بإرادته الذاتية وهي ملكة خاصة يتمتع بها كل إنسان عاقل ويصدر بها أفعاله، بعيداً عن سيطرة الآخرين لأنه ليس مملوكاً لأحد لا في نفسه ولا في بلده ولا في قومه لقد خلقه الله حراً.

ومن أنواع الحرية: 1- الحرية الدينية. 2- الحرية الاجتماعية. 3- الحرية السياسية. و الحرية الدينية تقتضي نفى الإكراه في الدين الذي هو أعز شيء يملكه الإنسان مستقل فيما يملكه ويقدر عليه ولا يفرض عليه أحد سيطرته، بل يأتي في هذه الأمور راضياً غير مجبراً وهذا نوع من أنواع الحرية وهي الحرية في اختيار العقيدة أو الدين. وقد نصت الأديان السماوية على أن الحرية حق من الحقوق الطبيعية للإنسان، وحين يفقد المرء إنسانيته يموت داخلياً، وإن كان في الظاهر يعيش ويأكل ويشرب، ويعمل ويسعى في الأرض، ولقد بلغ تعظيم الدين الإسلامي -دون سائر الديانات السماوية- للحرية أن جعل السبيل إلى إدراك وجود الله تعالى العقل الحر، الذي لا ينتظر الإيمان بوجود تأثير قوى خارجية، كالخوارق والمعجزات ونحوها.

ويجب أن نعلم هنا أن لا حرية مطلقة بلا قيد ولا شرط في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، وعلى هذا فإذا كان للإنسان حرية الاعتقاد فهذا لنفسه ولكن

1- فقد اعتذر رئيس الوزراء الاسترالي كيفن رود عن ممارسات مماثلة مورست ضد السكان الأصليين و«(لأجل كل الأجيال المختطفة)» كما تعترف كندا بجرائم كنائسها و اعتذرت للسكان الأصليين الهنود الحمر.

2- هانس كينغ: مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، ت. جزييف معلوف و أرسلولا عشاق، دار صادر، بيروت، ط1. 1998، ص 119-126.

ليس من لوازم حرية الاعتقاد التي يريدها و يتمتع بها أن يكره الناس عليها أو يدعوهم إليها بعنف؛ لأنه إذا كان من حق الإنسان أن يضل هو فليس من حقه أن يضل غيره.¹
احترام الأديان والمقدسات في المواثيق الدولية:

إن حرية الاعتقاد و التعبير الحققة هي التي تحافظ على حقوق الآخرين ومعتقداتهم الدينية ومقدساتهم، وأما التصرفات التي تصدر بدون مراعاة حقوق الآخرين فهي الفوضى التي تؤدي إلى اختلال التوازن في موازين الحياة وهذا التصرف هو الذي وضعت له التشريعات حداً .

واحترام الأديان والمقدسات ، واحترام حقوق الآخرين لا يتأتى إلا من حرية الاعتقاد والتعبير التي تعتمد على مبادئ الأخلاق التي تعني عدم مصادرة آراء و معتقدات الآخرين وإيذائهم، حتى وإن كانت مخالفة، لكن غير مسيئة للآخرين ومعتقداتهم،² وقد دعت إليه الهيئات الدولية؛

فعلى سبيل المثال ما جاء في إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان³ في مادته الثانية والعشرون ما يلي :

(1) لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية .

(2) لكل إنسان الحق في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية.

(3) الإعلام ضرورة حيوية للمجتمع ، ويحرم استغلاله وسوء استعماله والتعرض للمقدسات وكرامة الأنبياء فيه وممارسة كل ما من شأنه الإخلال بالقيم أو إصابة المجتمع بالتفكك أو الانحلال أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد.

¹ - للتوسع في التعريفات والآراء انظر صليحة بو البردعة: التنصير في ظل حرية الاعتقاد في الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2007. ص

2 - محمد إدريس حسن: تحرير مفهوم حرية التعبير و احترام الأديان و المقدسات، المؤتمر العالمي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، مملكة البحرين، ص8.

³ - إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان الصادر عن المؤتمر الإسلامي التاسع عشر لوزراء الخارجية (القاهرة، 14 محرم 1411هـ الموافق 1990/08/05 م) .

(4) لا تجوز إثارة الكراهية القومية والمذهبية وكل ما يؤدي إلى التحريض على التمييز العنصري بكافة أشكاله¹.

ويذكر ديفيز أنه قد تم إعداد ثلاث وثائق دولية في القرن العشرين بهدف تعزيز مبادئ الحرية الدينية وهي الميثاق الدولي لحقوق المدنية والسياسية (1966م) . وإعلان الأمم المتحدة لمحو جميع أشكال التعصب والتمييز القائم على أساس الدين أو المعتقد (1981م) . ووثيقة فينا الختامية (1989م) وتعزز كل هذه الوثائق الحرية الدينية بتأييدها حقوقاً من الأهمية بحيث بتوجب جعلها عالمية.

ويمنع الميثاق الدولي لحقوق المدنية والسياسية (1966م) والذي صدقت عليه حتى الآن (144) دولة ، التمييز الديني كما ينص إعلان الأمم المتحدة الذي تبنته عام (1981م) ومن ضمن ما نص عليه هذا الميثاق إنشاء وصيانة أماكن العبادة أو التجمع لممارسة دين أو معتقد وإنشاء وصيانة أماكن لهذه الغاية.

كما تحتوي الوثيقة الختامية لمؤتمر فينا على نصوص مشابهة لما ورد في وثائق 1948 ، 1966م ، 1981م من حيث التأكيد والالتزام باحترام الاختلافات الدينية ، وكذلك على ضمان التطبيق الكامل والفعلي لحرية الفكر والضمير والدين والمعتقد.

و أهم ما تتضمنه حرية الاعتقاد قيم سامية هي المحبة و التسامح و السلام، التي تقوم عليها و بها تتحقق، فبالمحبة و التسامح و السلام يكون لكل دينه المحترم و لا إكراه في الدين، و هو ما حاولت المسيحية توكيده و إبرازه من خلال نصوص الكتاب المقدس.

ثالثاً-حرية الاعتقاد في المسيحية:

يتغنّى النصارى بمقولة المسيح : (من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الأيسر) ليدللوا على أن دينهم دين سلام ورحمة و تسامح. و هو ما بينته بعض نصوص الإنجيل كما يلي:

¹ انظر للدكتور/ عبدالعزيز بن عثمان التويجري، حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية، ص: 37.

1- التسامح و السلام:

تفيد كلمة تسامح معنى المرونة و التنازل لأحد الأشخاص و التساهل في خلاف من الخلافات و الصفح عن مخالفة تعاليم الدين و تمكين الغير من حرية التعبير عن رأيه و لو كان مخالفا و خطأ و التعايش معه بعيدا عن التعصب و الانغلاق. لقد تردد معنى التسامح السلام و الدعوة إليها في الإنجيل في أكثر من موضع حيث يقول يسوع في التطوية السابعة من موعظة الجبل:

-((طوبى للساعين إلى السلام فإنهم أبناء الله يدعون)) متى 5،9

- ((سمعتم انه قيل عين بعين و سن بسن .وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا .ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا . ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين. من سألک فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.)) متى 5: 38-42

- ((43 سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك 44 .وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيك. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم 45 .لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فانه يشرق شمس على الأشرار والصالحين ويمطر على الإبرار والظالمين 46 .لأنه أن أحببتم الذين يحبونكم فأي اجر لكم. أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك 47 .وان سلمتم على إخوانكم فقط فأي فضل تصنعون. أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا 48 .فكونوا انتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل)) متى 5: 43-48

-((بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرَضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْبَحُونَ شَيْئاً فَيَكُونُ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ. فَكُونُوا رَحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ)) لوقا 6:35

-((لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ . بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضاً وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلَا تَمْنَعُهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً)). لوقا 6:27

نفهم من ذلك أن مهمة و رسالة المسيحي في العالم هي العمل على إقامة السلم

و التسامح و لا يقابل العنف بعنف مضاد.¹

2-المحبة

تُعتبر المحبة المصدر الرئيسي الذي تنطلق منه كافة الفضائل الأخرى كالتسامح و السلام التي بها تتحقق حرية الاعتقاد و الاعتراف بالآخر، وهي من أسمى الفضائل المسيحية وأعمقها.

يقول المسيح عليه السلام: ((أحبوا أعداءكم. باركوا لاعينكم. أحسنوا إلى مبغضيك. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)) متى 44.5.

ويقول: - ((أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ . بَارِكُوا لَاعِينِكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاغْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضاً وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلَا تَمْنَعُهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً)). لوقا 6:27

فمحبة الأعداء، بناء على ذلك، قيمة مسيحية بامتياز، فالله حسب انجيل متى (45.5) ((تشرق شمسك على الأشرار والصالحين ويمطر على الإبرار والظالمين))، و الله الذي بذل ابنه المسيح لأنه أحب العالم الذي لم يكن يستحقه، يعطي الأشرار فرصة ليتوبوا،² المسيح في المسيحية مات مدفوعاً بمحبته ولم يحب فقط الذين يحبونه، بل أحب حتى أعداءه ومات عنهم، لذلك فهو يطلب من المؤمنين أن يحبوا أعداءهم أيضاً، حيث يقول: ((إذا أحببتهم الذين يحبونكم فأني فضل لكم؟)) ويقول لهم: ((أحبوا أعداءكم))، لأن محبة العدو ليست ناتجة من القلب فقط بل من إرادتنا أيضاً، إنها انتصار على مشاعر العداة التي هي شيء طبيعي فينا، إنها إرادة الخير لمن لا يحبوننا وخدمة أولئك الذين يسيئون إلينا ويضايقوننا.

و عليه كان المطلوب من المسيحي نقل المحبة إلى حيز التنفيذ العملي، كما قال الرسول يوحنا: ((لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق)) (1 يوحنا 3:18)، و يكون ذلك بأن يعيش الإنسان حياة المحبة العملية، وأن تصبح المحبة بالتالي أساس

¹ - الآب.د. جورج مسوح: السلام في الكتاب المقدس، مجلة التنوير، المعهد العلي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، عدد 05، 2002-2003. ص 174-178.

² - الآب.د. جورج مسوح: المرجع السابق ص 180.

سلوكه والموجه لكل تصرفاته. فلا يصح ادعاء محبة الآخرين، وبنفس الوقت النظر إليهم نظرة استعلاء وازدراء أو مقاتلتهم، أو أن لا تكون عندنا روح المسامحة الحققة. وهذا يعني التضحية في سبيل الآخرين اقتداء بالمسيح عليه السلام ونكران الذات، وإلا أصبحت كلمة جوفاء لا معنى لها.

يقول الرسول بولس: "وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء. و واضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة" (1 تيموثاوس 6: 6-11).

تبين هذه النصوص قمة و سمو هذه الأخلاق النبيلة في المسيحية ، ولكن لم نجد فيها على مر العصور صدى لهذا القول و هذه القيم، لم نجد يوما ما مسيحيا واحدا حوّل خذه الآخر لمن لطمه على الأيمن، أي أن النص خارج حيز التنفيذ وذلك لكونه لا يتماشى مع الفطرة السوية وما يسمى بكرامة الإنسان، لأنها و لاشك أقصى وأصعب التوصيات والأوامر التي لم تنقذ¹.

و إنما نفذت نصوص أخرى مناقضة للسلام و التسامح و المحبة كانت محل تطبيق بالإحكام و تفاني من المسيحيين، إذ أمر المسيح في العهد الجديد بإكراه الناس على إتباعه، و الواقع التاريخي و المعاصر شاهدان علي ذلك، مما ينسف فكرة حرية الاعتقاد في المسيحية من أساسها.

رابعا: الإكراه والإرهاب: المرجعية الكنسية

يستخدم المسيحيون الإسلام اليوم كطريقة للإسقاط النفسي لعدم التسامح و التعصب المتناهي و لكل المساوئ التي يحملونها بداخلهم.

¹-محمد علي البار: دراسات معاصرة في العهد الجديد و المسيحية، دار القلم، دمشق، ط1، 2006. ص149.

و المقصود بالإسقاط النفسي هو أن يقوم الشخص باتهام أشخاص آخرين، و غالباً ما يكونوا منافسين له أو يضعهم في خانة العداء معه، بصفات يعرف جيداً أنه يعاني منها أو بمعنى آخر تعليق الغسيل القذر على حبال الآخرين و اتهامهم بأنهم مصدر ذلك الغسيل القذر بالرغم من علمه جيداً أنه مصدر تلك القذارة، و بهذه الطريقة فإن الشخص الذي يقوم بالإسقاط النفسي لا يريد فقط خداع المجتمع المحيط به و لكنه أيضاً يريد الهروب من تأنيب ضميره هو شخصياً.

و من أمثلة الإسقاط النفسي في حالتنا هذه: الوحشية و البربرية اللامتناهية، النفاق، التلاعب بالألفاظ و تسمية الأشياء بغير مسمياتها، تعمد التضليل و الخداع بالمقارنة بالغير بالباطل و العيب على الآخرين بما ليس فيهم، و كذلك استفزاز الآخرين للرد على الباطل الذي يقال عنهم بالمثل؛ كل هذه أمثلة للأساليب و الخدع الأساسية المعتمدة للإسقاط النفسي التي يستخدمها مجرمو الفكر أو الدين و يخفونها وراء أقنعة يضعون لها مسميات مثل " الفئة الصالحة"، "المتمسكين بالقيم الأخلاقية"، " الشهداء"، "القساوسة"، "القديسون"، "الباباوات" الخ.

أ- في الكتاب المقدس:

فالكتاب المقدس يحدثنا عن المذابح والأوامر الإلهية التي تأمر بقتل الأطفال والنساء والحيوان ..!

ففي سفر التثنية 20 : 10-16 «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح .فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك .وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يلك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فختتمها لنفسك وتأكل غنيمه أعدائك التي أعطاك الرب إلهك .هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرّمها تحريماً».

و في سفر التثنية 20: 12-16 تمنع حرية الاعتقاد لأنها رجس و يقتل المخالف للعقيدة «إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولا 13 قد خرج أناس بنو لثيم من وسطك وطوّحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها 14 وفحصت وفتشت وسألت جيلاً

وإذا الأمر صحيح وأكد قد عمل ذلك الرجس في وسطك 15 فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد
السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار
المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد» و يؤكد ذلك مرقس
16:16 «(من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يندن)» وهذا ما جسده بالفعل محاكم التفتيش و
فرسان التوتونك في تاريخ الكنيسة.

حتى الأطفال و النساء يادون كما جاء في سفر حزقيال 9: 6 «(واضربوا لا تشفقوا أعينكم ولا تغفوا
الشيوخ والشباب والعذراء والطفل والنساء. اقتلوا للهلاك)» وفي سفر إشعيا 13 : 16 يقول الرب:
«وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم)» وفي سفر هوشع 13 :
16 يقول الرب «تجازى السامرة لأنها تمردت على إلهها بالسيف يسقطون تحطم
أطفالهم والحوامل تشق»

و في سفر العدد 31: 17-18 «(فَالآن اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ وَكُلِّ امْرَأَةٍ
عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا لَكِنْ جَمِيعُ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ
مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَاتٍ)» و حتى الحيوانات لم تسلم ففي سفر يشوع 6:
22-24 «(وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. وَخَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَمِنْ طِفْلِ
وَشَيْخٍ - حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْخَمِيرِ بِحَدِّ السَّيْفِ. ... وَأَخْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا
بِهَا. إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدُ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ)».
و في لوقا 14 (16-23) يكره المسيح الناس على إتباعه مستغلا مأساتهم:

((16 فقال له المسيح: إنسان صنع عشاء عظيما ودعا كثيرين.

17 وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا لان كل شيء قد أعد.

18 فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون. قال له الأول إني اشتريت حقلا وأنا
مضطرب أن اخرج وأنظره. أسألك أن تعفيني.

19 وقال آخر إني اشتريت خمسة أزواج بقر و أنا ماض لامتنحها. أسألك أن
تعفيني.

20 وقال آخر إني تزوجت بامرأة فلذلك لا اقدر أن أجيء.

21 فأتى ذلك العبد واخبر سيده بذلك. حيثئذ غضب رب البيت وقال لعبده اخرج

عاجلا إلى شوارع المدينة وأزقتها وادخل إلى هنا المساكين والمرضى والعرج و
العمي.

22 فقال العبد يا سيد قد صار كما أمرت ويوجد أيضا مكان.

23 فقال السيد للعبد اخرج إلى الطرق والساحات و أزمهم بالدخول حتى
يتمتلئ.

و هكذا فإن هذا الشخص المسمى باليسوع المدعو بالمسيح يحاول أولاً أن
يكسب اللعبة بنزاهة كما في المقاطع من 16 إلى 18 في لوقا (14). و لكن عندما
يفشل في المكسب النزيه فإنه يحاول الكسب بأي طريقة حتى ولو عن طريق الغش
(المقاطع من 18 إلى 20-لوقا 14) (بالإدعاء بأنه ابن الله). و لكن لأن الغش لا يمكن
تحقيقه سوى بالخداع فإنه يلجأ لأولئك الذين من السهل خداعهم و هم الذين لم ينالوا
إلا حظوظاً ضئيلة في الحياة (الفقراء , المرضى, العجزة و المقعدين).... إنه يرضى غروره
بالإحسان إليهم و دعوتهم إلى مآدبته و في المقابل يستغل مآسيهم في الدعوة إلى نفسه
على أنه ابن الله و ما أسهل أن يصدق أولئك البسطاء الذين قست عليهم الحياة. و هذا
بالضبط ما مفهوم المسيحية للإحسان... فهو إحسان بمقابل دائماً و هذا عينه عمل
المنصرين.

و في متى 10 كان الأمر الإلهي الشامل لما سبق ذكره : ((لَا تَطْئُوا آتِي جِئْتُ لِأَرْضِي
سَلاماً عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأَرْضِي سَلاماً، بَلْ سَيْفًا. 35 فَإِنِّي جِئْتُ لِأَجْعَلَ الْإِنْسَانَ
عَلَى خِلَافٍ مَعَ أَبِيهِ، وَابْنَتٍ مَعَ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ مَعَ حَمَاتِهَا. 36 وَ هَكَذَا يَصِيرُ أَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ
أَهْلُ بَيْتِهِ!)).

و في الرسالة إلى العبرانيين 9: 22 يقول شاول (بولس) بخصوص هذا الموضوع:

22: وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل
مغفرة.

ب- التنصير القسري:

هو نوع من أنواع التنصير الصريح¹، ويتمثل في الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش واختطاف الأطفال، والقرصنة البحرية، وإحراق المسلمين و غير المسلمين الراضين للتنصير، والغزوات، والاحتلال[الاستعمار]، وفرض الأفكار قسراً. ويمكن أن يتحقق القيام بالتنصير الصريح من خلال قيام مؤسسات تنصيرية ترعى الحملات، وتمكن لها، وتمدها بما تحتاجه من الموارد المالية والبشرية. وتتلقى الدعم المادي والمعنوي من الحكومات الغربية، ومن المؤسسات والأفراد عن طريق المخصصات والتبرعات والهبات والأوقاف.

1- في أوروبا:

جاء الملك شارلمان سنة 768 ليبدأ حقبة دموية لنشر المسيحية في ألمانيا وذلك عن طريق سن تشريعات صارمة تنص على عقوبة الموت لمن يمارس طقوس دينه وثنيه، و قام بحملة دامت 32 عاما قام فيها بما أسماه المؤرخون البشارة بالإبادة أو Genocidal Evangelism بدأ بها بأن قص الشجرة أالمقدسه الكائنة في غرب ألمانيا والتي كان لها قيمة دينيه عاليه لدى القبائل الوثنية، إلى أن سن قانوناً عام 722 بعد الميلاد يقضي بقتل كل من ليؤمن بالمسيح ويرفض التعميد. ويسجل التاريخ المذبحة التي صارت عام 782 بعد الميلاد حيث أصدر قراراً بإعدام 4500 وثني في يوم واحد ممن ضبطوا يمارسون طقوساً وثنيه بعد تعميدهم بالمسيحية. كذلك أصدر قراراً عام 794 بعد الميلاد يقضي بأخذ واحد من كل أربعة ممن يعيشون في مناطق وثنيه وإجباره على العيش في مناطق مسيحية.

أدى العنف الشديد إلى قتل الوثنية وبالتالي انتشرت المسيحية في جميع أنحاء ألمانيا الواقعة تحت سيطرة الفرنجة بقيادة شارلمان إلا أنه بقي العديد من المناطق التي قاومت التنصير مثل بلاد البلطيق وأوروبا الشرقية إلى أن أتى دور فرسان التوتونك . تكون نظام فرسان التوتونك أثناء الحروب الصليبية عام 1190 بعد الميلاد في فلسطين

¹ - انظر: عبدالله محمد جمال الدين. المسلمون المنصرون أو المورسكيون الأندلسيون: صفحة مهمة من تاريخ المسلمين في الأندلس. - القاهرة: دار الصحوة، 1991م. - ص 540.

من بعض النبلاء الألمان واشتهروا بالشدة في القتال أثناء حصار عكا من قبل المسلمين حيث وكل إليهم الدفاع عن مستشفى القديسة مريم، وعندما ذاع صيتهم استدعاهم ملك المجر عام 1210 بعد الميلاد لمحاربة بعض القبائل الوثنية في ما يعرف بأوروبا الشرقية الآن. انتهز الفرسان هذه الفرصة وابلوا بلاءً حسناً في معركتهم التي انتهت بالتطير العرقي والقضاء على كل من رفض اعتناق المسيحية ليستقروا تماماً في شمال أوروبا الشرقية عام 1226 بعد الميلاد.

في نفس العام منح الفرسان فرصة ذهبيه ليحكموا حكماً إقطاعياً لما يعرف ببولندا اليوم في حال نجحوا في تنصير السكان أي تحويلهم من الوثنية إلى المسيحية. كذلك منحهم البابا جريجوري التاسع عام 1234 بعد الميلاد نفس الحق في مناطق أخرى مثل دول البلطيق مما جعلهم يمارسون نشر الدين المسيح بحد السيف، حيث انتشر صيتهم كفرسان دمويين وأدى إلي تحويل معظم البلاد التي قاموا بغزوها إلى المسيحية.

2- تنصير الهنود الحمر

وصف المطران برت ولومي دي لاس كازاس في كتابه المسيحية والسيف الملوك الأسبان و الرهبان الموجودون في أمريكا بقوله: ((كانوا يسمون المجازر عقاباً وتأديباً لبسط الهيبة وترويع الناس، كانت سياسة الاجتياح المسيحي : أول ما يفعلونه عندما يدخلون قرية أو مدينة هو ارتكاب مجزرة مخيفة فيها.. مجزرة ترتجف منها أوصال هذه النعاج المرهفة))¹.

وانه كثيراً ما كان يصف لك القاتل والمبشر في مشهد واحد فلا تعرف من تحزن : أمن مشهد القاتل وهو يذبح ضحيته أو يحرقها أو يطعمها للكلاب ، أم من مشهد المبشر الذي تراه خائفاً من أن تلفظ الضحية أنفاسها قبل أن يتكرم عليها بالعماد ، فيركض إليها لاهثاً يجر جر أذيال جبته و غلاظته وثقل دمه لينصرها بعد أن نضج جسدها بالنار أو اغتسلت بدمها ، أو التهمت الكلاب نصف أحشائها.

¹ - المطران برت ولومي دي لاس كازاس: المسيحية و السيف، ترجمة سميرة عزمي الزين. من منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ص9.

إن العقل الجسور والخيال الجموح ليعجزان عن الفهم والإحاطة، فإبادة عشرات الملايين من البشر في فترة لا تتجاوز الخمسين سنة هول لم تأت به كوارث الطبيعة. ثم إن كوارث الطبيعة تقتل بطريقة واحدة. أما المسيحيون الأسبان فكانوا يتفنون ويتدعون ويتسلون بعذاب البشر وقتلهم . كانوا يجرون الرضيع من بين يدي أمه ويلوحون به في الهواء، ثم يخطون رأسه بالصخر أو بجذوع الشجر ، أو يقدفون به إلى أبعد ما يستطيعون. وإذا جاعت كلابهم قطعوا لها أطراف أول طفل هندي يلقونه ، ورموه إلى أشداقها ثم أتبعوها بباقي الجسد. وكانوا يقتلون الطفل ويشوونه من أجل أن يأكلوا لحم كفيه وقدميه قائلين : أنها أشهى لحم الإنسان¹.

3- تنصير المسلمين

3-1 محاكم التفتيش في الأندلس

تمثل محاكم التفتيش أحد أسوأ فصول التاريخ الغربي المسيحي دموية تجاه المسلمين فور دخول الأسبان إلى غرناطة نقضوا المعاهدة التي أبرمها مع حكامها المسلمين؛ إذ كان أول عمل قام به الكاردينال مندوسي إرسال رسالة عاجلة للملك الإسباني يعلمه فيها أنه قد أخذ على عاتقه حمل المسلمين في غرناطة وغيرها من مدن إسبانيا على أن يصبحوا كاثوليكاً؛ وذلك تنفيذاً لرغبة السيد المسيح عليه السلام الذي ظهر له، وأمره بذلك كما ادّعى، فأقره الملك على أن يفعل ما يشاء لتنفيذ رغبة السيد المسيح عليه السلام، فاحتل المساجد ومصادر أوقافها، وأمر بتحويل المسجد الجامع في غرناطة إلى كنيسة، فلما ثار المسلمون دفاعاً عن مساجدهم، قمعوا بوحشية مطلقة، وتم إعدام مائتين من العلماء المسلمين حرقاً في الساحة الرئيسة بتهمة مقاومة المسيحية².

وظهرت محاكم التفتيش تبحث عن كل مسلم لتحاكمه على عدم تنصره، فهام المسلمون على وجوههم في الجبال، وأصدرت محاكم التفتيش الإسبانية تعليماتها

¹ - نفس المرجع، ص 11.

² - وائل علي حسين محاكم التفتيش والمسؤولية الغربية مجلة الراية العدد 186 بيروت 1982 م .
5 نفس المصدر.

للكاردينال (سيسزوس) لتنصير بقية المسلمين في أسبانيا، والعمل السريع على إجبارهم على أن يكونوا نصارى، وأحرقت المصاحف، وكتب التفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة، وكانت محاكم التفتيش تصدر أحكاماً بحرق المسلمين على أعواد الحطب وهم أحياء في ساحة من ساحات مدينة غرناطة، أمام الناس، وقد استمرت هذه الحملة الظالمة على المسلمين حتى عام (1577م)، وراح ضحيتها حسب بعض المؤرخين الغربيين أكثر من نصف مليون مسلم، وتم تنصير البقية الباقية من المسلمين بالقوة، ثم صدر مرسوم بتحويل جميع المساجد إلى كنائس، وفي يوم (12-10-1501)، صدر مرسوم آخر بإحراق جميع الكتب الإسلامية والعربية، فأحرقت آلاف الكتب في ساحة الرملة بغرناطة، ثم تتابع حرق الكتب في جميع المدن والقرى، ثم جاءت الخطوة التالية، عندما بدأ الأسقف يقدم الإغراءات الكثيرة للأسر المسلمة الغنية حتى يعتنقوا الكاثوليكية، ومن تلك الإغراءات: تسليم أفرادها مناصب عالية في السلطة، وقد استجاب له عدد محدود جداً من الأسر الغنية المسلمة، وهو ما أثار غضب العامة من المسلمين فهاجموا أسر الذين اعتنقوا الكاثوليكية وأحرقوا بعضها، عندها أعلن الكاردينال (خيمينيث) أن المعاهدة التي تم توقيعها مع حكام غرناطة لم تعد صالحة أو موجودة، وأعطى أوامره بتنصير جميع المسلمين في غرناطة دون الأخذ برأيهم، أو حتى تتاح لهم فرصة التعرف إلى الدين الجديد الذي يساقون إليه، ومن يرفض منهم عليه أن يختار أحد أمرين:

- 1 - إما أن يغادر غرناطة إلى أفريقيا دون أن يحمل معه أي شيء من أمواله، ودون راحلة يركبها هو أو أحد أفراد أسرته من النساء والأطفال، وبعد أن يشهد مصادرة أمواله.
- 2 - وإما أن يُعدم علناً في ساحات غرناطة باعتباره رافضاً للنصرانية.

قد مورست في هذه المحاكم معظم أنواع التعذيب المعروفة في العصور الوسطى، وأزهقت آلاف الأرواح تحت وطأة التعذيب، وقلما أصدرت هذه المحاكم حكماً بالبراءة، بل كان الموت والتعذيب الوحشي هو نصيب وقسمة ضحاياها، حتى إن بعض ضحاياها كان ينفذ فيه حكم الحرق في احتفال يشهده الملك والأجبار، وكانت احتفالات الحرق جماعية، تبلغ في بعض الأحيان عشرات الأفراد، وكان فرناندو الخامس من عشاق هذه الحفلات، وكان يمتدح الأخبار المحققين كلما

نظمت حفلة منها. وبث هذا الديوان منذ قيامه جواً من الرهبة والخوف في قلوب الناس، فعمد بعض هؤلاء الموريسكيين إلى الفرار، أما الباقي فأبَت الكنيسة الكاثوليكية أن تؤمن بإخلاصهم لدينهم الذي أجبروا على اعتناقه؛ لأنها لم تقتنع بتصوير المسلمين الظاهري، بل كانت ترمي إلى إبادتهم.

3-2 - الحروب الصليبية:

لم تكن الحروب الصليبية التي اندلعت في القرن الحادي عشر ميلادي ضد العالم الإسلامي - و التي استمرت حوالي مائتي سنة بدأت سنة 1095 ، وانتهت سنة 1291 م - حروبا سياسية غايتها التوسع كما يدعي البعض بل كانت حروبا دينية باركتها السلطة الكهنوتية وسعت إليها، فالبابا أربان الثاني Pape Urban II هو الداعي والساعي للحملة الصليبية الأولى (1095 - 1099 م و البابا غريغوريوس الثامن Pape Gregory VIII هو الداعي والساعي للحملة الصليبية الثالثة عام 1187 ردا علي استرداد صلاح الدين للقدس وعودتها للمسلمين، و البابا اينوقتيوس الثالث Pape Innocent III هو الداعي إلى الحملة الصليبية الرابعة 1202 و البابا اينوشتيوس الثالث هو الساعي وراء بدء حملة صليبية خامسة جديدة عام 1213.

و المعلوم أن الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بأن قرارات البابا ومجمع الكرادلة هي قرارات تتسم بالعصمة من الضلال وكما يقول القس إلياس مقار: إن للكنيسة سلطان لا شبهة فيه ، وهي تستمد هذا السلطان من وعد المسيح وأمره إذ قال لبطرس بحسب إنجيل متى 16:19: " وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرَبُّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ ". (ترجمة فاندايك) وكيف أن يسوع وعد بان يرسل الروح القدس ليقود الرسل وخلفاءهم " إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ " (يوحنا 16: 12-13).

4- وسائل الإكراه المعاصرة عند المنصرين

4-1 - التعليم و التدريب المهني:

من خلال إنشاء مدارس وجامعات تنصيرية في بعض بلدان المسلمين ومراكز التدريب والورش للشباب والشابات، تشرف عليها بعثات التعليم و التعليم و التكوين

المهني حيث تستقطب إليها طاقات هذه الدول. وتخضع لبرامج نظرية فيها دروس حول الثقافة والمجتمع والدين والآداب المبسطة التي تنفذ من خلالها التعليم النصرانية، وذلك يدخل في مفهوم المتطلبات النظرية لاجتياز الدورات التدريبية. ومن ذلك إسناد الإشراف على المراكز والمدارس المهنية المحلية إلى إدارات أجنبية، ويقوم على التدريب فيها منصرفون بلباس المعلمين والأساتذة والفنيين والمدرسين¹. ويتسللون إلى ذلك من خلال قوانين المدارس والجامعات الخاصة في الدول الإسلامية و ضعف بعضها في مراقبة برامجها التعليمية. ويستغلون الأزمات والكوارث والفقر لإجبار المسلمين على التنصير، حيث يشترطون على أبناء المسلمين الراغبين في الدراسة التنصر وإلا حُرموا من التعليم، وقد تنصر الكثير من أسر فقيرة، في إفريقيا وآسيا، لا تستطيع دفع رسوم أبنائها الدراسية ولا قيمة تغذيتهم وملابسهم.

4-2- الخدمات الإنسانية:

مثل الإغاثة والطب والمساعدات التي تعد من أهم ما أساليهم التنصيرية حيث أنهم يستغلون فقر الإنسان وحاجة الإنسان من أجل الضغط عليه لتغيير دينه، فهم يحملون الإنجيل بيد والمساعدات باليد الأخرى، بل إن الكوارث والحروب التي تقع في البلدان الإسلامية هي فرصتهم السانحة يفرحون بها لأنهم من خلالها يلتقطون ما يريدون.

فمنظمة الصليب الأحمر الدولية منظمة إغاثية كبرى تأخذ بعض إغاثات المسلمين التي تؤخذ من جيوب المسلمين و تقوم أحياناً بتوزيعها على مسلمين آخرين من ضحايا الفيضانات وغيرها ليتصرفوا بها، و من الوسائل و الظروف المستغلة لذلك:

¹ - وفي هذا يقول "زويمر" في مؤتمر القدس سنة 1935م: "لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة، أو التي تخضع للنفوذ المسيحي، أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً. ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات، وفي المدارس الكثيرة التي تهيم عليها الدول الأوروبية والأمريكية، وفي مراكز، ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها، الأمر الذي يرجع الفضل فيه إليكم أولاً، وإلى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج...". انظر: عبدالله التل. جذور البلاء. - مرجع سابق. - ص 275-276.

استغلال الأمراض للتطبيب

"نفشي الأمراض والأوبئة يعد مرتعاً خصباً للتنصير و المنصرين، ولأي دعوة أو توجه. وتبرز هنا وسائل التنصير المتعلقة بالتطبيب والتمريض. ويمكن أن يتصور امرؤ منظر أم تحمل رضيعاً شاحب الوجه بارز الأوداج متضخم البطن ليستقر في ذهن هذا المرء استعداد هذه الأم لمنح ابنها لأي شخص سيعمل على شفائه بأي اسم من الأسماء يستخدم هذه الوسيلة. و المنصرون يعرفون استغلال الموقف هذا فيعززون محاولات شفاء الطفل إلى عيسى بن مريم -عليهما السلام-. فإذا أراد الله لهذا المريض أن يشفى قيل لأهله إن هذا كان بفضل عيسى، فيكون لعيسى ما يريد له هؤلاء المنصرون، وما لا يريد له هو -عليه السلام- لنفسه، والصور من هذه المأساة تتكرر يومياً، وتُرى على شاشات الفضائيات في مناظر مؤلمة محزنة. لاسيما أنها من صنع البشر أنفسهم"¹.

فبعثات التطبيب التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية والصحية، تعمل على خدمة النصرانية والتنصير من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة.² وتعتمد إلى تشغيل فتيات المجتمع ممرضات ومشرفات اجتماعيات يتمشين مع سياسة هذه المؤسسات الطبية. وقد يكنّ من بنات المجتمع المتنصرات. وأقرب مثال حي على هذا جهود المنصرة الراحلة "تيريزا"، التي تُدعى بالأم، والحائزة على جائزة نوبل، وما قامت به في مجال التطبيب من أنشطة على مستوى القارة الهندية بالتركيز، وعلى مستوى العالم الإسلامي بعامه.

وكذلك البعثات الطبية في منطقة الخليج العربية التي قدمت إليها منذ سنة 1891م على يد الدكتور "شارون توماس"، ثم الدكتور "آرثر بينيت" بين سنة

¹ -علي بن إبراهيم الحمد النملة: التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، الرياض ط3، 1424هـ/2003م (د.ن.غ.م)، ص130.

² - يذكر عبد العزيز الكحلوت أن "المرضى الذين يدخلون هذه المستشفيات التنصيرية أو غيرها يجبرون على الاعتراف بأن الشافي والمنقذ هو المسيح". ولعل المقصود بذلك هو الجانب الصريح من التنصير. انظر: عبد العزيز الكحلوت. التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء. - ط2. - طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1412هـ - 1992م. - ص 88.

1910م وسنة 1915م¹ وفي مصر و السودان و اندونيسا و غيرها.

• استغلالهم للكوارث والظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة.

أما استغلالهم للكوارث والظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة للشباب بصفة خاصة ولعموم الناس، وتطلعهم إلى حياة أفضل من أجل استقطابهم إلى المسيحية عبر عدة طرق ملتوية، فلم يعد أمراً خفياً أو سرياً. وليست الوقائع التي رصدتها وسائل الإعلام الدولية بعد غزو كل من العراق وأفغانستان، وكارثة تسونامي بإندونيسيا، وزلزال الحسيمة في المغرب، وأطفال تشاد والسودان... وغيرها، إلا نماذج لوسائل الاحتيال التي تضايق منها حتى المسؤولون الكنسيون².

و "تعد ظروف الفقر والفاقة التي خلفتها مجموعة من العوامل البشرية والكوارث الطبيعية" الحالة بالمسلمين بقضاء الله وقدره، ثم بالظروف المحيطة بهذا المجتمع من عدة أبعاد، إحدى الوسائل المساندة لحملات التنصير. وهي وسيلة مساندة قوية. فهؤلاء المنصرون لديهم من الإمكانيات المادية ما يجعلهم قادرين على الوصول إلى المناطق المنكوبة، مهما كانت وعرة أو نائية مادام فيها فقراء معوزون يأكل الجفاف من جلودهم. وهم على هذه الحال مستعدون لقبول أي إغاثة تصل إليهم دون النظر إلى مصدرها والأهداف من ورائها، ولا مجال هنا للتفكير في الانتماءات العقدية والفكرية، لأن التفكير في هذه الحال يتوقف، وعندما يعاود الذهن القدرة على التمييز يرفع علامة استفهام عريضة: أين المسلمون منا؟³.

و قد تواتر نقل الصحف على اختلاف توجهاتها لأساليب الإغراء والمكر والاحتيال العديدة التي تمارسها هذه المجموعات المتطرفة باسم المسيح عليه السلام، وهي أساليب خالية من أي صفاء أو روحانية ومتشعبة بروح الاستغلال،

1- انظر: عبدالمالك التميمي: التبشير في منطقة الخليج العربي: دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي. - مرجع سابق - ص 123-132. وانظر أيضاً: هـ. كونوي زيقلر. أصول التنصير في الخليج العربي: دراسة ميدانية وثائقية. - ترجمة مازن صلاح مطبقاني. - المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، 1410هـ-1990م. - ص 31-48.

2- عبد السلام البلاجي: التنصير.. تعمير للجيوب أم كسب للقلوب؟ الجزيرة نت، أبريل 2008.

3- علي بن إبراهيم الحمد النملة: التنصير، مرجع سابق ص 130.

وذلك من أجل اصطیاد ضحايا من بين الشباب العاطل المتجمهر أمام قنصليات البلدان الغربية للحصول على تأشيرة سفر أو فرصة عمل.

4-3- خطف و تبني الأطفال

مسألة خطف الأطفال شاعت أثناء محنة المسلمين في الأندلس، وهي شائعة الآن مع المحن التي يمر بها العالم بعامة، والمسلمون بخاصة. وبدأت واضحة مع الأحداث التي حلت باللبنانيين والأفغان والبوسنويين والهرسك والصومال و السودان، وغيرها من المواقع التي لا تبدو عليها بالضرورة المحن والكوارث. ومن أنجح ما تقوم به الإرساليات التنصيرية الآن هو تبني الأطفال، وتسفيرهم من بلادهم، وتعليمهم مبادئ النصرانية، وتنشئتهم عليها، أو الإبقاء عليهم في بلادهم الفقيرة، والدخول إلى قلوبهم من خلال ما يصلح لهم، ويتناسب مع عقلياتهم، كالحلوى والغذاء والكساء، كما كانت تعمل ذات الرداء الرمادي في مصر العربية، حيث عرف عنها أنها تأتي من شمال القاهرة إلى مصر القديمة في جنوبها؛ حيث يترقبها "جامعو الزبالة" من الأطفال فتوزع عليهم الكساء والأغذية".¹

فقد أصبح التنصير أو التهويد بالتبني هو أحدث صور الاستثمار التبشيري للفقر في العالم الثالث.²

¹ - انظر: عبد الجليل شلبي. معركة التبشير والإسلام: حركات التبشير والإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا. - القاهرة: مؤسسة الخليج العربي، 1409هـ-1989م. - ص 305.

² - ففي تقرير نشره فرع منظمة رعاية الطفولة والأمومة "يونيسيف" في ألمانيا سنة 2000، أن عدد أطفال الدول الفقيرة الذين تم تبنيهم من قبل عائلات قادرة ماليا في دول الغرب هو 23 ألف طفل، خلال عام 1999 وحده.

كما أشار الإحصاء إلى أن هؤلاء الأطفال تم تبنيهم في 7 دول غربية هي: "الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وأستراليا والسويد"، وأن غالبيتهم من ثلاث قارات هي: أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

ووفقا لتقرير اليونيسيف؛ فإن الوازع الرئيسي لتبني أطفال العالم الثالث هو حاجة بعض الأسر الغربية إلى الأطفال بسبب عدم قدرة هذه الأسر على الإنجاب، كما أن المؤسسات الدينية الكبرى في الغرب - كما يقول التقرير - تحث أتباعها - وبالذات في الكنائس المسيحية ومعابد اليهود - من

4-4- إصدار قوانين حرية الاعتقاد:

ويتناول الفصل الرابع "الأصولية البروتستانتية واللوبي اليهودي" مشيراً إلى أنه قد التقت تلك الأصولية مع حركة اليهود في أميركا من حيث اتباع آليات وممارسات الجماعات الضاغطة لإحداث تأثير وتغيير اجتماعي في بنية المجتمع من خلال التأثير على التشريعات والسياسات الحكومية.

ويقدم المؤلف لنا نموذجاً على ذلك متمثلاً في إصدار قانون الحرية الدينية، فيوضح أن الاهتمام بالحرية الدينية في العالم قد بدأ بحملة من أجل إنقاذ مسيحيي العالم من الاضطهاد، تلك الحملة أطلقها محام يهودي يدعى (مايكل هوروفيتز) بمقال نشره في جريدة (وول ستريت) في 5 يوليو 1995 تحت عنوان : (التعصب الجديد بين الصليب والهلال) موجهاً النظر إلى الاضطهاد المتنامي للمنصرين المسيحيين ومحفزاً المجتمع المسيحي الأمريكي على مواجهة هذا التحدي، وبحسب المؤلف فإن هذا النداء إنما يجسد المصلحة المشتركة لكل من اليهود والبروتستانت في أميركا، كذلك محاولة إقامة تحالف يهودي- بروتستانتي في مواجهة الإسلام.

وعقب هذا النداء بدأ الإنجيليون البروتستانت تحركهم للضغط من أجل إنقاذ مسيحيي العالم وأطلقوا بياناً عنوانه (بيان لإثارة الضمير) في 23 يناير 1996، وبدأت إدارة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون في التحرك وتم تشكيل لجنة (الشريط الأزرق) في نوفمبر 1996، والتقت اللجنة للمرة الأولى في 13 فبراير 1997،

أجل تبني أطفال الدول الفقيرة والمناطق المنكوبة بالمجاعات والكوارث الطبيعية، وغير الطبيعية كالحروب وغيرها.

وحسب التقرير؛ فإن التبني يحقق مصلحة مزدوجة، الأولى هي: سد حاجة الأسر المحرومة من الإنجاب إلى الأطفال، والثانية هي: سد احتياجات هؤلاء الأطفال إلى المأوى الملائم والطعام الجيد والكساء النظيف والتعليم المناسب، وهي أشياء تكفلها لهم العائلات الميسورة الحال بالتعاون مع المؤسسات الإنسانية والدينية والتعليمية في الغرب.

وناقشت وضع الحرية الدينية والاضطهاد الديني في العالم ومساندة الأقليات. كذلك التعاون بين الأديان لبلوغ الحرية الدينية وحل النزاعات.

وأثمرت الحملة اليهودية البروتستانتية المشتركة في الضغط على الإدارة الأميركية وإصدار قانون تشريعي، حيث شهدت هذه المرحلة ثلاثة مشاريع لقوانين :
الأول : مشروع قانون تقدم به كل من فرانك وولف النائب الجمهوري والشيخ الجمهوري سيكتور باسم (التحرر من الاضطهاد الديني) وتقدماً به في سبتمبر 1997 ووافق عليه 375 عضواً مقابل 41 عضواً غير موافقين من أعضاء مجلس النواب في مايو 1998، مع إجراء بعض التعديلات.

الثاني : مشروع قانون دون ينكلز الذي قدمه إلى مجلس الشيوخ في 26 مارس 1998، ووافق عليه 98 عضواً من أصل مائة عضو.

الثالث : وهو القانون الذي تم إقراره بعد التعديلات في 9 أكتوبر 1998، وتم العمل به فوراً تحت اسم (قانون الحرية الدينية الدولية)¹، حيث يتم تنفيذه من خلال آليتين هما : السفير فوق العادة لشئون الحريات الدينية في العالم ويرأس مكتباً تابعاً لوزارة الخارجية، ولجنة استشارية لشئون الحرية الدينية في العالم. ويتناول الفصل الخامس والأخير "قانون الحرية الدينية في العالم، آليات تنفيذه وتداعياته"، حيث يستخدم كل من السفير فوق العادة لشئون الحريات الدينية في العالم

¹ - قانون الحرية الدينية الدولية: تعتبر الحرية الدينية أحد حقوق الإنسان الأساسية ، ويُعتبر أن حماية هذه الحرية هي بمثابة حماية شيء مشترك بين جميع البشر ، إلا أن البعض أراد استغلالها لمصالحه السياسية ، فقامت مثلاً وزارة الخارجية الأميركية بنشر تقرير الحرية الدينية الدولية في 26 تشرين الأول 2001. فما هو هذا القانون ، قانون الحرية الدينية الدولية لعام 1998؟
لقد صادق الكونغرس على هذا القانون حول تشجيع الحرية الدينية كهدف مباشر تعمل السياسة الخارجية الأميركية على تحقيقه، ولمحاربة الاضطهاد الديني حول العالم، وكهدف غير مباشر هو إيجاد الوسيلة لإمكانية تدخل أميركا في السياسات الدولية لشعوب العالم والضغط بهذه الوسيلة - غير المحددة بدقة - على كل دول العالم.

وكذلك لجنة شؤون الحرية الدينية في عملهما ثلاث وسائل هي : - إعداد تقارير سنوية- الاستجابة العملية للحالات الحادة¹.

وتدل كل المؤشرات والقرائن على أن هذا التقرير يستعمل كأداة للضغط على الدول عموماً -والإسلامية منها خصوصاً- من أجل إفساح المجال أمام الجماعات الإنجيلية المتطرفة لإيجاد موطئ قدم لها في صفوف الشعوب الإسلامية، وتغيير التركيبة الدينية والاجتماعية لهذه البلدان حالياً، وتكوين أقليات "مسيحية" تخول لأميركا التدخل مستقبلاً "لحمايتها" من الاضطهاد الديني وحماية "حقوقها".

ولتنبيه صناع القرار إلى خطورة هذا التوجه التنصيري العدائي نحو العالم الإسلامي، كتب النائب السابق لرئيس مجلس المخابرات الأميركية سابقاً وأستاذ التاريخ حالياً غراهام فولر مقالاً مطولاً بمجلة "السياسة الخارجية" في عددها لشهري يناير/ كانون الثاني وفبراير/ شباط 2008 بعنوان "عالم بلا إسلام"، دعا فيه إلى تخيل العالم الإسلامي والعالم بدون وجود الإسلام، بل وافترض تحول العالم الإسلامي إلى عالم مسيحي، فكأنه يلمح -وإن لم يشر إلى ذلك صراحة- إلى الرغبة الدفينة للمنصرين الإنجيليين المتطرفين.

ويؤكد فولر في هذا المقال أن المخاطر المتهمة لن تزول ولن تصبح المنطقة موالية أو خاضعة للغرب حتى لو أصبحت مسيحية، ويمثل لذلك بعدة مناطق مسيحية ترفض هيمنة الغرب وتقوم بمواجهته مثل أميركا الجنوبية التي واجهت الغرب تحت لافتة مسيحية مناضلة، وأوروبا الشرقية الأرثوذكسية وغيرها من المناطق. ولعله يلمح أيضاً إلى الضغط الأميركي للقضاء على الجمعيات الخيرية الإسلامية، والحد من انتشار المدارس القرآنية، وتغيير مناهج التعليم الدينية، تحت لافتة مكافحة الإرهاب. والواقع أن ذلك قد يكون وسيلة من وسائل إخلاء المجال للبعثات التنصيرية الإنجيلية، وهو توجه ينبه الكثيرون إلى خطورته الكبيرة.

¹ - محمود المراغي: وثائق الخارجية الأميركية حول الإرهاب حرب الجلباب والصلب

والخطر أن التيار المهيمن داخل هذا التوجه تيار معيدي البناء المسيحيين، وهو مذهب ذو جذور يهودية يصف الفصل بين الدين والدولة بأنه "خرافة" ويدعو علانية إلى قيام دولة ثيوقراطية بناء على التعاليم المسيحية.

وتكمن خطورة هؤلاء في أنهم يتكونون من مجموعة كبيرة من البروتستانت، وربما تشكل ثلث السكان، وتزعم أنها تؤمن بالنبوءات الإنجيلية عن "النشوة" الوشيكة المتمثلة في عودة المسيح إلى الدنيا ورفع المؤمنين إلى السماء.

يتبين لنا من هذه الوسائل و تلك الأعمال أنها ليست إلا تنفيذا لنصوص الكتاب المقدس و تطبيقا لتوصيات مؤتمراتهم، ففي أعمال مؤتمر تنصير العالم الإسلامي المنعقد عام 1978 بـكولورادو والمنشورة بعنوان "خلاصة الإنجيل والإسلام"، تم التأكيد على ضرورة استغلال ظروف "العالم الإسلامي الذي يمر بحالة من التمزق الاجتماعي والسياسي، ولذلك يوجد لدى المسلمين اليوم استعداد قلبي وعقلي لتقبل رسالة المسيح"¹.

و نصوص الكتاب المقدس عن حرية الاعتقاد والتسامح والمحبة والخطاب الكنسي الجديد لا يصدقها الواقع، فهو خطاب واحد موحد و متعدد متناقض في نفس الوقت، لكون دعوات الحوار وحرية الاعتقاد من أجل السلم و التعايش صوتها مازال ضعيفا و يحتاج مجهودات اكبر و اصدق.

1- التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي، مؤتمر تنصير العالم الإسلامي المنعقد عام 1978

بـكولورادو.